صور سياحة

٤ ـ ليالى باريس

مونمارتر ومونبارناس

المسارح والمنتديات الليلية

بقلم سائح متجول

للمدن العظيمة فى الليل حياة أخرى غير حياة النهار ، ولهذه الحياة الليلية متاعها وسحرها ، ولها أحياناً خطرها وألوانها القاتمة ؛ فى تلك المقاهى والمنتديات الساطعة ، وفى تلك المسارح الأنيقة ، وفى تلك الأبهاء والحانات الليلية التى تزينها أسراب من الحسان ينفثن السحر من عيونهن ومن عطرهن ، وفى تلك الأحياء الشهيرة التى غدت أسماؤها أعلاماً فى القصة والأدب ؛ هنالك فى تلك الربوع والمنتديات ينسى الانسان مدى لحظة متاعب الحياة الدنيا ، ويستطيع أن يتذوق شيئاً من متاع الحياة الليلية الضاحكة واللهو المرىء

وباريس مدينة عظيمة ، وفيها حياة ليلية مضطرمة ، قوامها تلك المنتديات والمسارح والحانات الشهيرة التى كثيراً ما تقرأ عنها فى القصص وتشهدها فى السينما ، فيخيل اليك أنها عالم بأسره من الفتنة والجمال والسحر

وسنعرض فى هذا الفصل صوراً من تلك الحياة الليلية الباريزية الشهيرة مما رأينا وشهدنا

تقع مراكز الحياة الليلية الباريزية فى أحياء معينة اشتهرت بأسمائها كما اشتهرت بماضيها وتقاليدها ، وأضحت علماً على حياة الليل فى باريس

وأشهر هذه الأحياء وأهمها من هذه الناحية هى بلا ريب أحياء : مونمارتر ومونبارناس وبيجال وكليشى وما اليها من مسالك ودروب

ولقد كان حى مونمارتر يستأثر فيما مضى بأكبر قسط من الشهرة الليلية ، بيد أنه على ما يظهر يفقد اليوم شيئاً من هذه الشهرة التى غدا ينافسه فى أسبابها وبواعثها حى مونبارناس ؛ وكان مونمارتر وما زال أعظم الأحياء الباريزية الشعبية شهرة ، وأكثرها جاذبية لشباب الطبقات المتوسطة والدنيا ، وما زال رغم تقلبات الزمن وفقدان الكثير من سحره السابق ، يجذب اليه طوائف الشباب المثقف والناشئين من الكتاب والأدباء وذوى المهن ، يجدون ملاذا سهلا فى فنادقه ومطاعمه ومقاهيه الرخيصة ؛ ويستمرئون فيه ما استطاعوا من مسرات الحياة الليلية ، حيثما يتفتح الحب السهل بين شباب كثير التواضع والطموح

ويقع حى مونمارتر فى قلب باريس ، وما زال يحتفظ بكثير من معالمه القديمة ؛ دروب ضيقة ملتوية ، وأبنية عتيقة لم تنلها يد التجديد ، وفنادق ومطاعم ومقاه لم تعرف شيئاً من الأناقة الحديثة ؛ ومع ذلك فربما كانت هذه المطاعم والمقاهى المتواضعة فى مظاهرها أفضل من كثير من المحال الأنيقة الحديثة ، لأنها ما زالت تحتفظ بشىء من التقاليد الحسنة من حيث تقديم الألوان والمشروبات الجيدة بأثمان معتدلة ، وعدم التورط فى تلك المظاهر الخلابة التى تؤذى الجيب دون مبرر

هذا إلى أن مونمارتر مازالت تزخر بالمسارح والأبهاء والأندية الليلية ، من حانات ومراقص شهيرة ؛ وقد كانت مونمارتر

قلت : « طبعاً . طبعاً ... ظاهر يا سيدى ظاهر »

قال : « ثم إنى موظف ورب عائلة .. لى زوجة وأولاد ..»

فهممت بأن أقول له إن كونه رب أسرة وذا زوجة وأولاد لا يبدو أنه منعه أن يعترف لى — وأنا غريب بما أراد أن ينفيه ولكنى لم أقل شيئاً واكتفيت بالابتسام ونزلت عند أول محطة وقفنا عندها

الحقيقة التى أعترف بها أن طبيبى هذا لم يكن مخرفاً فقد أفادنى الابتسام صحة وعافية وانشراحا وزاد فطنى مالم أكن أعلم ، وإذا كان القارىء فى شك مما أقول فما عليه إلا أن يجرب فعل الابتسام لأمر أو خاطر لا علاقة له بمجلسه مقترنا بسقوط النظرة فى عينه عفواً . وليخبرنى بعد ذلك بالنتيجة إذا شاء ، فما أشك أنا فى أنها ستدهشه وتكشف له عن كثير من أسرار النفوس لم يكن يخطر له على بال

ابراهيم عبد القادر المازنى

وما زالت تستمد شهرتها من تلك الأندية الليلية ومما يعرض فيها من أصناف اللهو والمرح التي تقوم في معظمها على السحر النسوي ؛ وأشهر تلك المنتديات بلا ريب هو مسرح « الفولي برجير » Folies Bergères الذي يقع في منعطف من شارع « فوبور مونمارتر » ؛ ومسرح « الكازار » Alcazar الذي يقع في هذا الشارع نفسه على مقربة من اتصاله « ببوليفار الايطاليين » ، والذي تقوم بالتمثيل فيه سيسيل سوريل العجوز الحسناء وفرقتها الشهيرة ؛ ومسرح « معرض العراء » Chez les Nudistes الذي يقع أيضاً في نفس الشارع ؛ هذا في « فوبور مونمارتر » ، وأما في حي مونمارتر ذاته ، وهو على مقربة من « الفوبور » فتقع حانات ومراقص لا حصر لها

وتقص دروب بيجال وكليشي وهما على مقربة من مونمارتر بالحانات والمقاهي المريبة التي تؤمها الغانيات من طبقات متواضعة ، ويؤمها طلاب اللهو من جميع الطبقات والجنسيات . ويمتاز شارع بيجال بالأخص بما يعرض فيه من الألعاب الصبيانية المختلفة مما يعرض عادة في « لونابارك »

وفيما بين بيجال وكليشي توجد عدة من المسارح والمراقص الممتازة ؛ وهنالك يقع « كازينودي باري » الشهير الذي تعرض فيه مناظر العراء المطلق من الممثلة الأمريكية الحسناء « جوان وارنر » وفرقتها ؛ ويقع مرقص « الكليزيوم » في شارع روشوار ، وهو من أشهر مراقص باريس ، وفيه سرب من الفتيات الحسان الأجيرات أو Taxi girls كما يسمون ، يرتدين أثواباً مشقوقة من أحد الجانبين تسفر عن ساق عارية ؛ وهؤلاء يرقصن مع الطالبين بتذاكر خاصة يصرفها المحل للراغبين وقيمة التذكرة التي تعطى عن رقصة واحدة فرنكان ؛ هذا إلى عدة حانات ليلية للرقص والغناء تفتح أبوابها حتى الصباح

وقد ذاعت مناظر الرقص العاري في باريس وأصبحت أشهر دعاية تذيعها المسارح والمراقص الأنيقة ؛ ففي الفولي برجير ، والكازينو دي باري ، والكازار ، تعرض المناظر والرقصات العارية بانتظام ؛ ويمتاز الكازينو دي باري بعرض أشهر هذه المناظر وأجلها ، ويشترك في المنظر الواحد نحو عشرين فتاة عارية لا يسترن سوى ملمس العفة بقلالة صغيرة على شكل « فينوس » ويدلن على ظهورهن شعوراً طويلة مستعارة لتستر الألية بعض الشيء ؛ وبطلة الرقص العاري أو ملكته هي مس جوان وارنر التي ترأس فرقة العراء في « الكازينو » ؛ وقد كان لها منذ عامين أو ثلاثة قصة مع القضاء ، حيث عرضت بعض رقصاتها العارية الأولى ، فاعتبرها البوليس عملاً فاضحاً ، وحُقق معها ، وقدمت إلى محكمة الجنح ، ولكنها دافعت عن نفسها بأنها تقوم بمناظر فنية محضة ، وأخذ القضاء بنظريتها وقضى ببراءتها . ومن ذلك الحين ذاع الرقص العاري في باريس ، ونظم في أشهر المسارح ، وسميت مس وارنر « ملكة العراء المطلق » La Reine de nu integral ؛ والواقع أن مس وارنر تتمتع بجسم باهر التكوين والتقاسيم كأنه تمثال روماني رائع

وقد شهدنا هذه المناظر الباريزية العارية في « الفولي برجير » وفي « الكازينو » وفي « الكازار » ، وشهدنا عدة أخرى من المنتديات والحانات الليلية في مونمارتر وكليشي ومونبارناس ، فماذا رأينا وماذا شعرنا ؟ رأينا مناظر كثيرة الألوان والضوء ، ولكن قليلة السحر حقاً . وإن منظر هذه الأجسام العارية قد يثير الغرائز الوضيعة ، ولكنه قلما يثير السحر الرفيع ، وأي سحر في مناظر تسودها مسحة البغاء أكثر مما تسودها مسحة الفن والجمال ؟ والظاهر أن هذه المسارح الباريزية الليلية إنما تعتمد على إثارة الغرائز في النظارة قبل كل شيء ، ولهذا أصبحت تعتمد على الأجسام النسوية العارية كعامل أساسي في اجتذاب النظارة ، وإنك لتقرأ الاعلانات الخلابة في الصحف عن مناظر العراء فيخيل إليك أنك سترى مناظر من الجنة Plaisirs de Paris; Folie sur Folie : Vive le nu ! ; le Nu intégral ; 24 Beautés nues هذه وأمثالها من العبارات الرنانة تقرأها دائماً في برامج هذه المسارح ؛ ولقد كانت أسماء « الفولي برجير » و « الكازينو دي باري » و « الكازار » تثير فينا قبل رؤيتها سحراً لا يقاوم ، فلما أتيح لنا أن نراها آنسنا خيبة أمل مرة ، لأننا لم نر فيها من المناظر الرفيعة الرائعة ما يتفق مع تلك الدعاية الرنانة التي تثار حول أسمائها في الصحف وفي السينما ؛ وهي دعاية يفهمها الفرنسي ، ولذلك فهو قليل الاقبال على هذه المسارح والمناظر التي ترتب لاجتذاب الأجانب وتقتضي من روادها أجوراً فاحشة حتى إن

الكرسي التواضع (في نهاية البارتير أو في الجاليري) في الفولي برجير أو الكازينو لا يكلف أقل من ثلاثين أو أربعين فرنكا (٤٠ — ٥٢ قرشاً)[١]

* * *

ومونبارناس ؟ إن اسم مونبارناس كمونمارتر يغمر الأدب الباريزي ، ولكن مونبارناس أحدث عهداً في الأخذ بناصية الحياة الليلية الباريزية ؛ ومونبارناس شارع مديد شاسع في جنوب باريس على مقربة من اللكسمبور وسان ميشيل ، وهو أكثر رحابة وأقل صخباً من مونمارتر ، وبه على مقربة من محطة « مونبارناس » عدة مقاه حسنة أشهرها وأجلها « لا كوبول » وهو مقهى أنيق وبه مرقص ليلي ؛ وهنالك في الجانب الآخر أشهر حانة ليلية في الحي وهي حانة « جوكي » ، وهي غنائية راقصة وينحصر الجانب الساهر المنير من مونبارناس بين « لا كوبول » والمحطة ؛ وهنالك تلمح تحت أنوار الشارع والمقاهي كثيراً من الغواني وأنصاف الحرائر

وقد اشتهرت مونبارناس بأنها مهبط الأدباء والفنانين الناشئين ؛ والواقع أنك حين تتجول في مقاهي الحي ومطاعمه ترى كثيراً من الفنانين الذين أطلقوا لحاهم والذين تدل عليهم مظاهرهم يؤمون أندية الحي ويتجولون في دروبه ؛ والمعروف أن رواد مونبارناس هم غالباً من الطبقة المثقفة ، وهي بذلك تمتاز عن مونمارتر التي عرفت بأنها مهبط الطبقات الدنيا أيضاً ؛ وقد أخذت مونبارناس في العهد الأخير تنافس مونمارتر في الأخذ بزمام الحياة الليلية ، ونجحت في ذلك إلى حد ما ؛ بيد أنها ما زالت تضيق بأنديتها القليلة عن أن تضم كثيراً من تلك الجماهير الغفيرة التي تهرع إلى مونمارتر بالليل ، هذا إلى أنها لا تحتوي كثيراً من تلك المنتديات الشعبية التي تغص بها مونمارتر والتي تموج بروادها دائماً

والظاهر أن مونبارناس تقف في منافستها لمونمارتر عند ناحية خاصة ، فهي بموقعها وشوارعها الشاسعة الفخمة أقدر على اجتذاب الخاصة من مونمارتر ؛ وقد سمعت من بعض الباريزيين الخبيرين بشؤون الحياة الاجتماعية أن المستقبل لمونبارناس في تحول تيار الحياة الليلية إليها ؛ وأن مدى هذا التحول يتوقف على مدى قيام المقاهي والمنتديات الجديدة في حي مونبارناس

* * *

هذه صورة موجزة مما استطعنا أن نقف عليه من نواحي الحياة الليلية في باريس ؛ ولا ريب أن توجد ثمة نواح أخرى يعرفها أولئك الذين أقاموا في العاصمة الفرنسية أكثر مما أقمنا وعرفوها أكثر مما عرفنا . بيد أنا نعتقد أن ما أتيح لنا أن نشهده من المنتديات والمناظر المختلفة التي وصفناها هو عنوان الحياة الليلية الباريزية يعبر عنها تعبيراً حقيقياً ؛ وقد حرصنا على تعرف هذه الحياة ما استطعنا ، ولم نبخل بأنفاق ليال عديدة رمتها في التجوال والمشاهدة ، ولم نضن بما اقتضاه التجوال من نفقات فاحشة في غالب الأحيان ؛ ولم نر في كل ما شهدنا ، في تلك الأحياء الشهيرة ، وفي تلك المنتديات والمسارح الليلية ذات المظاهر الأنيقة والأنوار الساطعة والبرامج الخلابة ، من المتاع والفتنة ما يتفق مع تلك الدعاية المغرقة التي يبثها في مصر عن باريس وعن منتدياتها ولياليها أولئك الذين لم يعرفوا غير باريس ، والذين يقدمون الينا عنها في كتبهم ومقالاتهم أجمل الصور وأروعها

(يتلى) (...)

(١) هذا التقدير قبل نزول الفرنك الأخير

صدرت الطبعة السادسة من كتاب :

تاريخ الأدب العربي

في جميع عصوره

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

وهذه الطبعة تقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفا جديداً

الثمن ٢٠ قرشا عدا أجرة البريد